Research in Contemporary Literature
Islamic Azad University in Jiroft
https://cls.jiroft.iau.ir/

Volume 14, Issue 56
January 2023
pp. 138-161

Research Article

The Lights of the Principles of Religious Reform According to Jamal al-Din al-Afghani in the Poetry of Mohammed Ridha Al-Shabibi (Comparative Analytical Vision)

Dana Talebpour

Abstract

The influence of reformist thought during the crisis in Iraq in the late nineteenth and early twentieth centuries had a effect on justifying the ideas of the poets of this era. Among them is the name of Jamal Al-Din Afghani because of his prominent role in the contemporary literary movement and the justification of the ideas of leading poets, including; Mohammed Ridha Al-Shabibi shines and the necessity and importance of the discussion is in this point. Among them is the name of Jamal al-Din al-Afghani, because of his prominent role in the contemporary literary movement and the justification of the ideas of leading poets, including; Mohammed Ridha Al-Shabibi shines and the necessity and importance of the discussion is in this point. In this article, in order to explain the effects of this influence, the reflection of Jamal al-Din al-Afghani correction axes on Shabibi's poems was studied. The method of this research is analytical-comparative and in the end some results were obtained: Islamic countries must be cautious in their interaction with the West and its progressive civilization, and adopt things that lead to their progress. They denounce various forms of religious, national, and tribal prejudice and shout at stagnation and imitation, which has closed the way to progress. In their view, all issues of human life are under the control of the divine will and the power of judgment and predestination. Undoubtedly, their influence on the Holy Quran and Islamics missions is one of the most important pillars in their thoughts.

Keywords: Seyyed Jamal al-Din al-Afghani, Mohammed Ridha Al-Shabibi, Religious reform, Western civilization, Iraq

Ph.D in Arabic language and literature, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Literature and Humanities, University of Tehran, Tehran, Iran

Correspondence Author: Dana Talebpour **Email:** d.talebpour@ut.ac.ir

DOI: 10.30495/CLS.2023.1955897.1361

Receive Date: 03.04.2022 **Accept Date:** 19.01.2023

دراسات الادب المعاصر
دانشگاه آزاد اسلامی واحد جیرفت
/https://cls.jiroft.iau.ir

دوره ١٤، شماره ٥٦
زمستان ١٤٠١
صص: ١٦١-١٣٨

مقاله پژوهشی

بررسی تحلیلی - تطبیقی بارقه‌های اصول اصلاح دینی جمال الدین افغانی در اشعار محمد رضا شبیبی

دانا طالب‌پور

چکیده

نفوذ افکار اصلاح‌طلبان در دوران بحرانی عراق در اواخر قرن نوزدهم و اوایل قرن بیستم تأثیر بی‌نظیری در توجیه اندیشه‌های شاعران این عصر داشته است؛ به گونه‌ای که اشعار آنان تحت تأثیر تحولات اجتماعی و سیاسی عصر- به جای تعبیر از مسائل شخصی- به مسائل جمعی و مسائل عصر آنها روی آورد. در این میان نام جمال‌الدین افغانی به خاطر نقش برجسته‌اش در نهضت ادبی معاصر و توجیه اندیشه‌های شاعران پیشتاز متأثر، از جمله محمد رضا شبیبی می‌درخشد و ضرورت و اهمیت بحث نیز در همین نکته است. مقاله حاضر به دنبال، تبیین جلوه‌های این تأثیرپذیری، به بررسی انعکاس محورهای اصلاح دینی جمال‌الدین افغانی در اشعار شبیبی پرداخته است. روش به کار رفته، تحلیلی - تطبیقی بوده است و در پایان مشخص گردید: هر دو در برخورد با غرب دارای دو دیدگاه متناقض هستند. کشورهای اسلامی باید در تعامل با غرب و تمدن مترقی آن احتیاط کنند و اصولی را اقتباس کنند که باعث پیشرفت آنها می‌شود. هر دو مردم جامعه را از دسیسه‌های فریبندهٔ غرب که با دین و فرهنگ اسلامی همخوانی ندارد، هشدار می‌دهند. آنها گونه‌های مختلف تعصب دینی، ملی، طایفه‌ای را تقبیح می‌کنند و به اتحادی عزت‌آفرین در برابر بیگانگان دعوت می‌کنند و بر جمود و تقلیدی فریاد می‌آورند که راه پیشرفت را بر آنها بسته است. در نظرگاه آنان، تمام مسائل زندگی انسان تحت تدبیر ارادهٔ الهی و نیروی قضا و قدر است. بدون شک تأثیرپذیری آنان از قرآن کریم و رسالت‌های اسلامی از مهمترین ارکانی است که موجب پیوند رشتهٔ عقیدتی آنان می‌شود و آثار آن به شکل برجسته‌ای در افکارشان، مشهود می‌شود.

واژگان کلیدی: جمال الدین افغانی، محمدرضا شبیبی، اصول اصلاح دینی، تمدن غرب، عراق

دانش‌آموختهٔ دکترای زبان و ادبیات عربی، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشکده ادبیات و علوم انسانی، دانشگاه تهران، تهران، ایران
نویسنده مسئول: دانا طالب‌پور ایمیل: d.talebpour@ut.ac.ir
DOI: 10.30495/CLS.2023.1955897.1361

تاریخ دریافت: ۱۴۰۱/۰۱/۱۴ **تاریخ پذیرش:** ۱۴۰۱/۱۰/۲۹

دراسات الأدب المعاصر
جامعة آزاد الإسلامية فى جيرفت
https://cls.jiroft.iau.ir/

السنة الرابعة عشرة ، العدد ستة وخمسين
شتاء ١٤٤٣
صص: ١٦١-١٣٨

ورقه ابحاث

أضواء مبادئ الإصلاح الديني عند جمال الدين الأفغاني في أشعار محمد رضا الشبيبي

(رؤية تحليلية مقارنة)

دانا طالب‌پور

المخلص

كان لدور المصلحين العالميين في الفترة المتأزمة التي يعيشها العراق في أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين شأن منقطع النظير في وجهة أفكار الشعراء في هذه الحقبة إلى حد قد انطلقت موهباتهم الشعرية تحت تأثير ما يجري على ساحة الظروف الاجتماعية والسياسية من التطورات والتغييرات في التعبير عن الوجدان الجماعي بدلا من الوجدان الفردي وواقعيات عصرهم. ومن بينهم يتلألأ اسم جمال الدين الأفغاني لدوره العظيم في النهضة الأدبية المعاصرة وتوجيه أفكار رواد الشعر الحديث المتأثرين بهذه الظروف خاصة محمد رضا الشبيبي. ومن هنا تأتي ضرورة البحث وأهميته. في هذه المقالة، تم اختيار بعض مشاريع الإصلاح في كتابات السيد جمال الدين الأفغاني ثم تطبيق مظاهر انعكاسها في أشعار الشاعر وكان منهجنا فيها تحليليا مقارنا وفي الختام تم الحصول على بعض النتائج: كلاهما ذو نظرتين متناقضتين في المجابهة مع الغرب. فعلى البلاد الإسلامية أن تحرص على تفاعلها مع الغرب وحضارته المتقدمة فتقتبس منه ما يوائمها وتأتي بالتقدم محذرين بدسائسه الخلابة مما لا يتناسب مع الدين والثقافة الإسلامية. هما يستنكران التعصب في جميع وجوهه بما كان دينيا أو جنسيا أو طائفيا ويحضّان الناس على الاتحاد والتلاحم الذي يأتي بالعزة والسيادة أمام تخاذل الأجانب صارخين على الجمود والتقليد الذين غلبا على الناس بمختلف أشكالهما وحالا دون كل تجدد وتطور، معتقدين بأن كل ما يحدث للإنسان في حياته يكمن في وراءه

طالبة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة طهران ، طهران ، إيران

المؤلف المختص: دانا طالب‌پور
البريد الالكتروني: y.marof@yahoo.com

DOI; 10.30495/CLS.2023.1955897.1361

تاريخ الوصول: ١٤٤٣/٠٩/٠١
تاريخ القبول: ١٤٤٤/٠٦/٢٦

سلطان الإرادة الإلهية مع الإيمان بالقضاء والقدر ولا شكّ أن تأثرهما بالقرآن الكريم والرسالات الإسلامية من أهم الركائز التي تجمع بينهما في خيوط العقيدة وتجلو آثاره بشكل جلي في أفكارهما.

الكلمات الدليلية: جمال الدين الأفغاني، محمد رضا الشبيبي، مبادئ الإصلاح الديني، الحضارة الغربية، العراق

١. المقدمة

ذهب الأدباء مذاهب شتى حول الوظيفة التي يؤديها الأدب في المجتمع الإنساني، فمنهم من رأى أن الأدب مجرد متعة ذاتية يقوم به الأديب استجابة لعواطفه فقط ولا يقصد به إفادة غيره فضلا عن إصلاح المجتمع، وهؤلاء هم أصحاب «الفنّ للفنّ». وهناك صنف آخر يرون أن الأدب يهدف أولا وأخيرا إلى إفادة المجتمع وتوجيهه حتى يعيش الإنسان فيه حياة طيبة، ويعرف هؤلاء بأصحاب «الفنّ للمجتمع» كما أن هناك صنفا ثالثا جمعوا بين الاثنين وقالوا: «إنَّ كل أدب جيد، ورفيع قيم، لا يقتصر على المتعة واللذة بحلاوة في الكلام أو برونق في الصور والتخيلات، بل يعلو بالخلق، ويرهف الشعور ويروّض الخيال وينوّر العقول في سبيل تربية إنسان أفضل ومجتمع أرقى، ويوصف هؤلاء بأصحاب «الفنّ للفنّ والفنّ للمجتمع.» (إبراهيم، ٢٠١٢م: ١١٧).

أما الأدب الجديد فينبع من إحساسات الشعب، وبكلمة أخرى نقول: إن همّ الأدب الجديد واهتمامه هو الإنسان، أي الإنسان في ثرائه وفاقته وسروره وحزنه وانتصاره وهزيمته ومعرفته وجهله وفي جميع مشكلاته الحاضرة والمستقبلة. (سلامة، ٢٠١٢م: ٢٤).

الأدب عند تغذيته للشعور لإصلاح المجتمع يخلق الثورة في النفوس ويهيج القلوب للقيام بالواجبات كما يحرّض الناس للقتال في سبيل الدين أو السياسة أو للدفاع عن الأعراض.(المصدر نفسه: ١٢١).

وإن الأدب العربي الحديث في أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين لم يظهر إلا بعد مروره على محطات وحركات تغيرت فيه ملامحه وكان من شأن هذه الحركات أن ينتقل الشعر من التعبير عن الوجدان الفردي إلى التعبير عن الوجدان الجماعي وقامت دعوات تجديدية لتغيير مهمته ووظيفته وشكله وانتهت إلى نبذ المواجد الشخصية لتحلّ محلها أحاسيس المجتمع الظامئ إلى التقدم الحضاري وظهر فريق من الشعراء ساروا في هذا الاتجاه الواقعي نابذين ما ارتكس من الفنون الشعرية والبيانية على ألسن وعقول الشعراء في عصرهم وعاشوا مع واقعيات عصرهم بمهمة الابتعاد عن القصيدة الغنائية والانفتاح على التجربة الإنسانية الجديدة ومعالجة الموضوعات بوسائل أكثر موضوعية من أجل أن يسهموا إسهاما فاعلا مؤثرا في واقعهم الجديد. ولا شك أن للمصلحين العالميين وأفكارهم في هذه الفترة المتأزمة التي يواجهها العالم الإسلامي آنذاك —خاصة في العراق- لها شأنا متميزا وتأثيرا بالغا في وجهة أفكار هؤلاء الشعراء الواقعيين وتوجيه أقلامهم التي تصل العراق في هذه الحقبة الزمنية، مثل الجواهري والرصافي والصافي النجفي ومحمد رضا الشبيبي والآخرين. أما من بين هؤلاء المصلحين المرموقين فيشكّل جمال

الدين الأفغاني دورا متميزا في التأثير والعطاء الفكري لدى هؤلاء الشعراء وتوجيه أفكارهم ويقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي عن دوره المتميز: «وأوقد في مصر والشرق الإسلامي نار ثورة فكرية عارمة تنزع إلى الإحياء والنهضة والتجديد وحرية الشعوب الإسلامية» (خفاجي، ١٩٩٢م: ٣٦) إضافة إلى الدكتور عمر الدّسوقي: «وإذا أردت أن تقف على الروح التي تكمن من وراء هذا الأدب الحيّ والتي بعثت في الشرق الإسلامي كله حيوية دافقة وهزته هزة عنيفة وأيقظته من نومه الطويل وعرّفته كيف يطلب حقه من الأقوياء العتاة وكيف يدفع عن نفسه جور الظَلَمة القساة، فاعلم أن الروح تمثلت في السيد جمال الدين الأفغاني: من يدين له الشرق الإسلامي بيقظته القومية والفكرية في العصر الحديث.» (الدسوقي، د.ت، ج ١: ٢٥٩).

نظرا إلى ما سبق وأهمية دور جمال الدين الأفغاني في الأدب العربي المعاصر وتوجيهه، في هذه المقالة، يحاول الباحث رصد انعكاس أهم محاور مبادئ الإصلاح الديني لجمال الدين الأفغاني في كتابات السيد جمال الدين الأفغاني والبحوث المنشورة في هذا الحقل في أشعار محمد رضا الشبيبي ومواقفهما المشتركة في التفاعل مع الحضارة الغربية.

٢. أسئلة البحث

١. ما هي أهم أضواء مبادئ جمال الدين الدينية التي انعكست على أشعار الشبيبي؟
٢. ما هي المواقف المشتركة عند جمال الدين والشبيبي في التفاعل مع الحضارة الغربية؟

٣. منهجية البحث

ستعتمد هذه الدراسة على المنهج التحليلي المقارن الذي يستخدم في عمليات البحث العلمي، فالمنهج الأول وذلك لدراسة أفكار جمال الدين الأفغاني، وأما المنهج المقارن، فكان لا بدّ منه للوقوف على بعض مظاهر تأثير أفكار جمال الدين في أشعار الشبيبي. فإنه سيعمد إلى تناول الدراسة في مقدمة وأربعة محاور وخاتمة تتضمن الاستنتاجات.

٤. أهداف البحث وضرورته

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- بيان تأثير أفكار جمال الدين الأفغاني في النهضة الفكرية على رواد الأدب العربي الحديث خاصة محمد رضا الشبيبي.
- بيان أهم مبادئ الإصلاح الديني المشتركة عند محمد رضا الشبيبي وجمال الدين الأفغاني.
- بيان مواقفهما المشتركة في التفاعل مع الحضارة الغربية.

٥. الدراسات السابقة

أما في مجال شخصية جمال الدين الأفغاني، فقد تمت حتى الآن بحوث عدة وكان الهدف منها هو الكشف عن دور وتأثيره السياسي والفكري والاجتماعي والديني المتميز وأسسه الإصلاحية والفكرية في إصلاح المجتمعات الشرقية وسواها، أما في مجال دوره في التأثير على أفكار وأساليب الأدباء العرب في العصر الحديث فلم يتم حتى الآن بحوث شاملة إلا بشكل عام وعابر. منها: «دور السيد جمال الدين الأسد آبادي في النهضة الأدبية المعاصرة» للباحثين: فرامرز ميرزايي وعلي باقر طاهري نيا (مجلة دراسات في العلوم الإنسانية ١٤٢٥هـ)، حيث قام الباحثان بدور جمال الدين الأفغاني في التأثير على أفكار والأساليب الأدبية عند رواد الأدب الحديث، منهم: محمود سامي البارودي ومحمد عبده وأديب إسحاق ومحمد المويلحي، وذلك بشكل عام عابر ضمن فقرة واحدة خلال دراسة أحوال حياته الشخصية والأدبية دون تحليل نماذج من هذا التأثير على آثارهم الأدبية أو المقالة المنشورة على موقع (**https://iranarab.com**) بعنوان: «دور السيد جمال الدين في الادب العربي الحديث» لمحمد علي آذرشب، حيث تحدث الباحث عن تأثير الأفغاني المباشر على الأدب العربي الحديث وهناك مقالة تحت عنوان: «مظاهر أفكار جمال الدّين الأسدآبادي في أشعار محمّد مهدي الجواهري» للباحثين: جعفر دلشاد وسيد محمود ميرزايي الحسيني وعلى أكبر مراديان، حيث قام الباحثون بدراسة تأثير جمال الدين على أفكار محمد مهدي الجواهري الشعرية، أحد رواد الشعر الحديث. أما في مجال شخصية محمد رضا الشبيبي ودوره الفكري والسياسي وآثاره الشعرية فقد تمت بضعة أبحاث أيضا. أما في مجال عنوان مقالتي، رغم تأثير شخصية السيد جمال الدين على أفكار وأشعار الشبيبي فلم يصدر حتى الآن أي بحث مستقل جديد حتى استوجب هذا البحث، وذلك لأن الدراسات السابقة لم تتعمق في تقصي نزعة تأثير الأفغاني على أفكار الشبيبي من أجل الوصول لمعرفة مكانتها في ذلك الفكر ولم تتعرض لهذه بشيء يذكر. في هذه المقالة، يحاول إحصاء بعض محاور المشروع الإصلاحي للسيد جمال الدين الأفغاني والكشف عن انعكاسها المباشر على أشعار الشبيبي.

٦. هيكلية البحث

تحت هذا العنوان يتم دراسة أهم المبادئ الفكرية لجمال الدين الأفغاني التي تأثر بها الشبيبي في أشعاره وتلك في أربعة محاور: التفاعل الثنائي مع الحضارة الغربية وفضح إيجابيات وسلبياتها، الدعوة إلى الوحدة الوطنية والإسلامية ونبذ خلافاتها، المكافحة مع اتباع التقاليد العميا الماضية وهيمنة الجهل، الاعتقاد بالقضاء والقدر.

۱,٦. التفاعل الثنائي مع الحضارة الغربية وفضح إيجابيات وسلبياتها

لم ينته القرن التاسع عشر إلا وقد عظم شأن الاستعمار الغربي واستفحل، وسقطت أكثر الدول الإسلامية تحت سيطرته أو نفوذه، وبذلك دخلت صلات الإسلام والمسلمين بالحضارة الغربية في طور جديد أصبح تأثير هذه الحضارة الغازية أكثر قوة وفعالية. ولا يجحد منصف أن للحضارة الغربية آثارا إيجابية وثمارا طيبة في الحياة الإنسانية وهذا يلمسه كل إنسان في نفسه ومن حوله، لقد استطاعت هذه الحضارة — بوساطة تقدم العلوم الرياضية والطبيعية وتطبيقاتها التكنولوجية- أن تمنح الإنسان قدرات وإمكانات لم يمنحها أحد قبله، وأن توفر له بذلك وسائل وأدوات وأشياء لم تكن تتهيأ للملوك وسلاطين الدنيا من قبل. «فدينهم الإسلامي لا يمنعهم أيّ منع من ذلك، بل إنّ الإسلام حثّ على طلب العلم ولو في الصين، ولا شيء يمنعهم من ذلك إلّا تمسكهم بالتقاليد الموروثة، وتقديسهم للعادات المألوفة، ودينهم براء من ذلك... وإنما بزّت أوروبا الشرق المسلم في مضمار الحضارة لا لأنّها مسيحية، وإنّما لعنايتها بتطوير العلوم وإهمال المسلمين لها. وليس في الإقبال على التعليم من الغرب من بأس، ولا هو مدعاة للخجل، فإنّما كان الفضل في نهضة العلوم في أوروبا راجعاً إلى استفادتها من النقل عن المسلمين الذين عنوا بالحفاظ على تراث الإغريق وتطويره وتنميته.(أمين، **http://www.alsadrain.com/hewar/160.htm**)

إذا قارنا بين نظريات جمال الدين ومحمد رضا الشبيبي اهتدينا إلى نقطة تلاق في أفكارهما. فكلاهما ينظران بنظرتين متناقضتين في مواجهة الحضارة الغربية، فمن جهة يرحبان بهذه الحضارة ويعتقدان بأن رقي الملة الشرقية وازدهارها يكمن في ترحيب الشرق بالتكنولوجيا الغربية وما وصلت إليه من تطورات في مجالات العلوم المختلفة. فالأفغاني «يدعو المسلمين إلى اكتساب المعرفة العلمية والتقدم الصناعي والزراعي والتقني، ونقل ما وصل إليه الغرب في ذلك مع الحفاظ على ما تتميّز به حضارتنا وشخصيتنا القومية من فكر وقيم.. » (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ۱۹۹۹م: ۲٤۹/ شلش، ۱۹۹۹م: ۱۰۹) كذلك نرى نفس الرؤية في أشعار الشبيبي فيجلو لنا أنه يكون قد تأثر في أفكاره بما ظهر لجمال الدين، ويكون من رواده عندما يقول:

أرى الشَّرقَ والغَربَ كالكفَّتينِ ... يخرُّ الكَسُولُ إزاءَ النشيطِ
إذا ارتَفَعتْ كِفَّةٌ مِنهُمَا ... هَوَتْ وانْثَنَتْ أختُها للهُبوطِ
سَقيتِ حَيَا العِلْمِ يا أمَّةً ... تمُجُّ مَجّ النَّجيعِ العبيطِ
وَأصْفاكِ جدُّكِ درَّ الصَّفَا ... فَلا بالمشُوبِ وَلا بالخَليْطِ

(الشبيبي، ۱۹٤۰م: ۱۷٦)

كما يشاهد في الأبيات، فالشبيبي لا يقبل الفصل بين الشرق والغرب معتقدا بأنه لا بدّ للشرق والغرب أن يعيشا جنبا إلى جنب في بلوغ المرامي، فالعلم في نظرة الشبيبي ذو مكانة مرموقة وهو الذي يضمن سعادة المجتمع فهو أداة لإصلاح أوضاع الوطن. هو يحمد قيمته ويحثُّ عليه في مواضع مختلفة من قصائده. فالتقدم في الشرق لا يحدث إلا في مجاراة الغرب واكتساب علمه وإن الحصول على التطورات والنتائج الصالحة لا يحدث إلا في التواصل العلمي والتقني، فهو يشبه قدر احتياجهما معا بكفتي ميزان تتساويان ويرتبط انهيار أو تقدم كل منهما بالآخر. فعلى الشرقيين أن يقوموا باقتباس بعض مظاهر التحديث والتقدم الظاهر في الحياة الغربية بما يفيدهم وينسجم مع مبادئهم الأخلاقية دون أن ينصهروا في مجالات هذه الحضارة انصهارا كاملا لا تتوائم مع ثقافتهم ودينهم.

وفي موضع آخر يتحدث عن النتائج والفوائد الصالحة لمجاراة الأمم كرمز لتقدّم الشعب والحياز على كرامته وعزّته وتحديث ما بقي لها من الماضي بما يوجد في العصر الراهن وإن رانت ملّة على ما وصل إليها من آثار المتقدمين وناهضت كلّ ما يجدّ لها وواجهتها، فإنها تخمل ولا تتقدَّم وتذلّ وتمحو من صفحة التاريخ. في الأبيات التالية يكشف الشاعر عن هذه المعاني:

يا أمّةً مِنْ جَهلِهَا تَأبَى مُجَاراةَ الأمَمِ
تَأبَى الرُّجُولَةَ والبُطُوْ لَةَ وَالكَرَامَةَ وَالْكَرم
ذَلَّتْ حَدِيثَاً أُمّةٌ أَبَداً تُفَاخِرُ بِالْقِدَمِ

(المصدر نفسه: ٩٤)

ورغم أن المصلحين أعربوا عن تقديرهم للثقافة الغربية، إلا أنهم أعلنوا احتجاجهم الصارخ على الاستعمار الغربي وتغلغله المتزايد. لقد أيقظ هذا الموقف المحايد حركة قومية عربية معادية للغرب كان لها تأثير عظيم على العراقيين. إن تأثير المصلحين على أفكار الشعب كان أحد عوامل الاتجاه المعادي للغرب في الحركة الوطنية العراقية. والدليل على غلبة هذه الفكرة يعود إلى أنَّ «التغلغل الأوربي أوضح للعرب أن العثمانيين قد فشلوا في مهمة الدفاع عن الوطن الإسلامي إزاء الغزاة الأجانب وكان الحكام الجدد يختلفون دينيا وثقافيا عن العرب. إلا أن الطابع الإمبريالي للغزاة الجدد كان أحد وجوه العملة، أما الوجه الآخر فكان يتجسّد في ثقافتهم وحضارتهم المتقدمة وبالنسبة لنخبة من العرب كان الغرب الإمبريالي هو أيضا الغرب المثقف وإلى حد كبير المصدر الذي ينبغي الرجوع إليه على حد قول المستشرق جان بيرك ومن ناحية أخرى، فإن الأسلحة الفكرية العربية كانت آنذاك عاجزة عن تحدّي الثقافة الجديدة أو تمثّلها. وقد أثار هذا التحدي بين نخبة من العرب محاولة لإعادة النظر في تراثهم الفكري من أجل تجديد استشرافهم الفكري برمته. فظهرت نزعتان في مواجهة الحضارة الغربية. هما التجديد أو التحديث أو محاكاة الغرب. فمدرسة محاكاة الغرب لم تقتصر على الإعجاب بأوربا، بل انطلقت أساسا من التراث الأوربي واستلهمته. أما مدرسة التحديث فقد جعلت نقطة انطلاقها من الإسلام، وكان اهتمامها بالثقافة

الأوربية انتقائيا وتعديليا. وبشكل عام، لا يخلو من بعض التجريدية، فإننا نستطيع القول بأن المسيحيين العرب كانوا قد أدَّوا دوراً بارزا في مدرسة محاكاة العرب، في حين أن المسلمين كانوا أقرب إلى مدرسة التحديث. وإن أبرز أشخاص الاستغراب كانوا مسيحيين كفرح أنطون وشبلي شميل ونجيب عازوري (بلاد الشام ومصر) وانستانس ماري الكرملي (العراق)، في حين أبرز رموز التحديث كانوا من المسلمين كالأفغاني وعبده والكواكبي ورشيد رضا (بلاد الشام ومصر) وشكيب أرسلان ومحمد كرد علي (بلاد الشام) ومحمد سعيد الحبوبي ومحمد رضا الشبيبي ومعروف الرصافي وعبد المحسن الكاظمي وهبة الدين الشهرستاني (العراق). (نظمي، ۲۰۰۸م: ۱۱۵-۱۱٦)

يدعو جمال الدين إلى «تجنب تقليد الغربيين في طريقة حياتهم وأساليب معيشتهم وما فيها من انحلال وشذوذ وانفلات من القيم ومفارقة للأخلاق. فالعالم الإسلامي ليس بحاجة إلى طراز الحياة الغربية في مظاهر الحياة الاجتماعية والأفكار المادية وهندسة البناء وأنظمة التصرف والسلوك.» (شلش، ۱۹۹۹م: ۱۰۹) كذلك نرى نفس الرؤية في أشعار الشبيبي فلم يكن هدف الاستعمار من نشر حضارته هو تمدين البلاد التي استعمرها كما كان يتشدّق به ويزعمه، ولكنّه كان يقصد بذلك إزالة الحواجز الّتي تقوم بينه وبين هذه الشعوب، وهي حواجز تهدد مصالحه الاقتصادية والمحافظة عليها صعبة غير مأمونة العواقب. وهذا لا يتوائم مع الحضارة العراقية وذلك لأن العراق تعدّ واحدة من أقدم مواطن الحضارات القديمة التي عرفتها البشرية، حيث نمت وترعرعت على أرضها بين أنهارها وعلى ضفافها أعرق الحضارات وأكثرها أصالة في العالم وعلى تراب العراق، أقام العرب المسلمون عواصم قادت الشعوب وهدتها نحو التوحيد الخالص لله تعالى وإلى العدل والسلام وعرفتها بإنسانيتها. يتجلّى تأثّر الشبيبي بجمال الدين أكثر عندما يفضح الآثار الثقافية للحضارة الغربية في الوطن العربيّ وخبائثها وإرهاصاتها وآفاتها وهي التحلّل من قيود الأخلاق التي جاءت بها كلُّ أديان السماء، وهدت إليها رسالات الله جميعا، فحضارة الغرب لا يمكن أن تثمر خلقا إنسانيا رفيعا يمسك بناء المجتمع، وإنما تثمر التفسُّخ والتحلل الذي يهزّ المجتمع ويزلزله، ويهدده بالانهيار:

ماذا يُرَجَّى مِنْ وَرَاءِ حَضَارَةٍ عَمِيَ البَصِيرُ بِهَا وَضَلَّ المُهْتَدِي
وُجِدَتْ فَأَعْدَمَتِ النُّفُوسَ فَضَائِلاً خُلِقَتْ لَهَا فَكَأَنَّهَا لمْ تُوْجَدِ

(الشبيبي، ۱۹٤۰م: ۲۰)

فالشبيبي وجمال الدين كلاهما كانا واقفين على أهداف الغربيين ونواياهم الاستعمارية المشؤومة الخبيثة التي لا تنوي سوى توسع سيطرته على الأرض العربية واستغلال ثروات الشعب واستعباده ورقّه وذلّه.فهي ليستْ تشاء سوى خديعة وكذب وظلم وتفريق بين شمل المسلمين والإرهاق والإرغام والخزي

للأمة الشرقية وهي لا تنسجم مع رؤيتها الفكرية ومقاصدها وأهدافها وسننها ودينها فالانفصام بين الدين والدولة هو أحد السمات الأساسية لفكر الإنسان الغربي:

خِداعٌ وكِذْبٌ، وافْتِرَاقٌ وقَسْوةٌ وظُلْمٌ، أَ هذا العَالمُ المُتمَدِّنُ ؟

(المصدر نفسه: ١٢٨)

***

مَا خلّفَ الغربُ فيْنا مِنْ حَضَارَتِه إلّا بَوَاعِثَ إرهَاقٍ وَإرْغَامِ

(المصدر نفسه: ٢٣)

والدليل على ذلك أن «الغربي مزهو بنفسه، ينظر إليها باستعلاء وإلى غيره بازدراء.» (القرضاوي، ١٩٩٥م: ١٩٥) «فهم يعتقدون أنهم أفضل من غيرهم عنصرا وأنقى دماء، وأنهم خُلِقوا ليقودوا ويسودوا ويحكموا، وأن الآخرين خُلِقوا ليكونوا مسودين ومحكومين لهم. هكذا بالفطرة والخلقة.» (المصدر نفسه: ٢٣-٢٤). وفي الجهة المقابلة، إن شعوب الدول الإسلامية لم تقبل الحضارة الغربية، لأنها -رغم بريقها- لا تتناسب مع معايير العربي الحضارية في حين المعيار الحقيقي للحضارة الغربية يرفض أي حضارة تنازعها القوة، إذن الاستعمار ما هو إلّا نزعة الاستعلاء على الآخرين. في الأبيات التالية يتحدث الشاعر عن زهوّ الغرب بنفسه واستعلائه وحبّ مصالحه:

يَقُوْلُون: أحْيَا المَغْرِبَانِ حَضَارَةً وَمَا حَيِيتْ إلّا لمَصْلحَةِ الذَّاتِ

(الشبيبي، ١٩٤٠م: ١١٣)

«فالإسلام لم يكن مجموعة من الطقوس الدينية فحسب، كما هو الشأن في غيره من الأديان، ولكنه حضارة كاملة يحملها الإسلام حيثما ذهب لتشمل سائر احتياجات الأفراد والجماعات في سلوكهم، وفي معاملاتهم، وفي نشاطهم الفكري والفني والعاطفي على السواء». (محمد حسين، د. ت: ٤٢) فهناك تنازع واختلاف واضح بين ما يروم الشرق والغرب في نواياهما وأغراضهما الفكرية والدينية فما يروق الشرقي لا يروق الغربي، فكل القوانين والشرائع التي يتم وضعها بأيدي الغربيين تخدم مصالحهم الاستعمارية وهم يحسبون أنفسهم أصحاب الحقائق والمعارف بينما إذا تعمقنا أكثر وجدنا أن أثر العرب المسلمين في النهضة العلمية الأوربية واضح، حيث انتقل الكثير من المؤلفات العلمية الإسلامية في العلوم المختلفة إلى البلدان الأوربية بواسطة عملية الترجمة إلى اللغات المختلفة في العصور المختلفة وفي الوقت الذي كانت البلدان الأوربية تنغمس في ظلامة الجهل والتخلف رغبت في اكتساب الحضارة الإسلامية. في الأبيات التالية يسخر الشاعر من القوانين الجارفة التي يشرعها الغرب ضد الشرق وزهوّه واستعلائه عليه والمفارقة الموجودة في الفضائل الأخلاقية والمنشودات الفكرية، والخلافات الموجودة في المعتقدات

الفكرية والمصالح الوطنية، فالحضارة الغربية تقوم على الصراع في كل المجالات لا تعرف السلام ولا الطمأنية ولا الحب:

مِنْ مَعْدَنِ الشَّرِّ مَا سَنُّوْا وَمَا شَرَعُوْا وَمِنْ مَعَانِيْه مَا خَطُّوْا وَمَا كَتَبُوْا
قَالُوْا: عَقَلْنَا مِنَ الدُّنْيَا حَقَائِقَهَا وَمَا جَهِلْنَا أَجَلْ، قَالُوْا وَقَدْ كَذَبُوا
إِذَا رغِبْنَا بِما يَحْلُوْ لَنَا زَهِدُوْا وَإِنْ زَهِدْنا بِمَا يَحْلُوْ لَهُمْ رَغِبُوْا

(المصدر نفسه: ٦٦-٦٧)

فجاءت الغزوة الاستعمارية الغربية إلى بلاد الإسلام لتحرر الإنسان من الشريعة الدينية. في الأبيات التالية يؤنّب الشبيبي ما حاول الغرب لإحلال الدين المسيحي محل الدين الإسلامي وتهديم الدين الإسلامي الحنيف في الشرق أو تطوير سننه وإعادة تفسيره، بحيث يبدو متفقا مع الحضارة الغربية أو قريبا منها وغير متعارض معها على الأقل، فالغرب قد اتخذ الخداع سجية له، فحين يدّعي الرأفة والسلام، إنما يعمد إلى التضليل والتمويه وهذا ديدنه المعروف في استعباد الملل الأخرى:

واذْكُري مَا فَعَلَ الغَرْبُ بِمَنْ هَذّبُوْه واصنَعِي مَا صَنَعَا
رَفَعُوا الصُلْبَانَ لا شَافيةً مِنْ سُقْمٍ وأَقَامُوْا البِيَعَا
وأَمَاتُوا سُنَناً واضِحَةً مَوْتُها في الأَرْضِ أَحْيَا البِدَعَا

(الشبيبي، ١٩٤٠م: ٤٥)

٢,٦. الدعوة إلى الوحدة الوطنية والدينية ونبذ خلافاتها

«وأخذت القومية العربية التي بدأت بالدعوة إلى جمع شمل العرب في دولة واحدة تتفكك وتنحلّ بعد الحرب العالمية الأولى إلى قوميات مختلفة تحت ضغط الظروف، والواقع السياسي الذي قسّم بلادهم بين إنجلترا وفرنسا وراحت كل قومية من القوميات الناشئة تدعم وجودها وتعمق جذورها وتؤصّل كيانها بإحياء تاريخها السابق على الإسلام والتغني بأمجاد تلك الأيام الغابرة وتوجيه التاريخ والأدب والفنون المختلفة.» (المصدر نفسه: ١٩٦).

لقد أدّت أفكار المصلحين الإسلاميين دورا مهما في عملية التوحيد هذه، فقد بشّر هؤلاء بإسلام لا طائفي وبوحدة الشيعة والسنة. فالأفغاني شديد البعد عن التعصب، نفورا منه، وإن ذكر المسلمين في أكثر من مقالة... لأنهم العنصر الغالب بأكثريته في الشرق، والملة المسلوبة ممالكها ومقاطعاتها ولهذا أكثر من إيقاظهم. (عمارة، ١٩٨٨م: ١٢٧- ١٢٨) وفي هذا يقول: «فخصصت جهاز دماغي في تشخيص دائه أي: الشرق وتحري دائه، فوجدت أقتل أدوائه داء انقسام أهله، وتشتت آرائهم واختلافهم على الاتحاد، واتحادهم على الاختلاف، فعملت على توحيد كلمتهم وتنبيههم للخطر الغربي المحدق بهم».

ويقول أيضا: «من سار في الأرض وتتبّع تواريخ الأمم وكان بصير القلب علم أنه ما انهدم بناء ملك ولا انقلب عرش مجد إلا لشقاق واختلاف أو ثقة بمن لايوثق به... .» (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٩م: ١٢٦-١٢٧).

ففي نزعته، الاختلاف والتنازع عاملا السقوط والضعف والنكسة التي طرأت على الأمم السابقة: «ألم تر أنّ الله جعل اتفاق الرأي في المصلحة العامة والاتصال بصلة الألفة في المنافع الكلية سببا للقوة واستكمال لوازم الراحة في هذه الحياة الدنيا والتمكن من الوصول لخير الأبد في الآخرة. وجعل التنازع والتغابن علة للضعف وداعيا للسقوط في هوة العجز عن كل فائدة دنيوية أو أخروية ومهيأ لوقوع المتنازعين في مخالب العاديات من الأمم.» (الأفغاني، ٢٠١٢م: ١٦٢)

هكذا نرى بوارق تأثر الشبيبي بجمال الدين في أشعاره، فإن الوحدة الوطنية والعربية كانت من أهم أولوياته، ففي عام ١٩٢٠م عندما أقدم الإنكليز على احتلال العراق، هبّ أبناؤها ضدّ هذا العدو الغاشم ناصحا بأبناء وطنه، مبينا لهم أهمية الوحدة الوطنية في مواجهة العدو محذرا إياهم بعواقب الفتنة والفرقة، ففي معتقده إن الاتحاد رمز لاعتلاء الشعب وتلاحمه، بينما الافتراق عامل لهوانه وخزيه وذلّه واستحواذ الأعداء عليه كما جاء في قوله تعالى أيضا: ﴿...وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ...﴾ (الأنفال: ٤٦) «فما هانوا من اجتمعوا وما سادُوا من افتَرَقوا»:

فَمَا هَانُوْا مَنِ اجْتَمَعُوا وَمَا سَادُوا مَنِ افْتَرقُوْا

(الشبيبي، ١٩٤٠م: ٩١)

فإحلال الفجوة والاختلاف من سيئات نوايا الاستعمار الغربي الحديث في العالم الإسلامي لتحول الأقليات الدينية والقومية من لبنات في جدار الأمن الوطني والقومي والحضاري إلى ثغرات اختراق. فبهذا السبب نحن نرى الشبيبي كثير الشكوى داعيا شعبه إلى الاتحاد والتجنب من الصراع في الاختلافات العقدية في مواضع مختلفة من أشعاره طالبا منه أن ينصره في التغلب على المشاكل والعوائق الكثيرة التي أسرت أيدي الشعب فهو يدرك أهمية انتهاز الفرصة في تشكيل الوحدة وعدم فسح المجال أمام المتربصين بالأمة العربية والإسلامية وذلك حين وظف فعل الأمر مستنهضا النفوس ويمد يد النصرة أمام أبناء شعبه حتى يساندوه في تحقيق هذه الرسالة الخطيرة:

كَوِّنُوا الوَحْدَةَ لا تَفْسَخُها نَزعَاتُ الرَّأيِ والمُعتَقَدِ
أنَا بايَعْتُ عَلَى أنْ لا أَرَى فُرْقَةً، هَاكُمْ علَى هَذَا يَدِي

(المصدر نفسه: ٨١)

فجمال الدين يرفض "الوطنية" التي تجعل من صاحبها حبيس إقليم من الأقاليم غير مستنير الأفق، غير محتضن لقضايا الأمم وآمال الشعوب، وكان رمزا قائما بنفسه للوحدة الإسلامية. (حسون، ٢٠٠٥م: ٢٨٢) وكذلك نرى نفس الرؤية في أشعار الشبيبي فهو يقبح الاختلافات التافهة في الجنسية التي تعد ركيزة رئيسة في إحلال التنازع والعداوة والتعصب بين الناس. فالشبيبي يكون على وعي تام بأساليب الغرب في بث الفرقة بين العرب، فمرة يتجهون إلى بث الشقاق بين الأديان ومرة إلى التفرقة عن طريق النزاعات الإقليمية. لعل إحساسه بأهمية الوحدة يجعله يتوجه إلى الإنسان مذكرا إياه بمنزلته الرفيعة في الأبيات التالية:

وَأَرَى مِنْ الإنْسَانِ أعْجَبَ مَا أرَى ... جِنْسيّةً مَنَعتْه أنْ يَتَواسَى
لِمَ لا تُشْبِهُ بِالحُقُوْلِ يَزيدُهَا ... لُطْفاً تجَمُّعُ ورْدِهَا أجْنَاسَا
يَا لَيْتَ مَنْ جَعَلَ التَّبَايُنَ زينةً ... لِلْوردِ قَدَّرهَا تَزينُ النَّاسَا

(الشبيبي، ١٩٤٠م: ٩٠)

فالمجتمعات البشرية لا تتم لها وحدة وأفرادها شتّى في ميولهم وأمزجتهم وقيمهم ونظمهم وإذا فقدت شخصياتها وعصبياتها أصبحت قطعانا من الأغنام يسهل على اليهود الذين يحافظون على عصبيتهم الدينية والقومية أن يسوقها إلى حيث يريدون. لقد أراد الله للناس جميعا أن يكونوا إخوة وأراد للمسلمين الاتحاد، إذ أمرهم في أكثر من آيات الذكر الحكيم بالاعتصام بحبل الله ونهاهم عن التفريق والتباغض: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: ١٠٣) وإن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وآله قد بلغ رسالة الله ودعا الأمة إلى اتباع أمر الله في الاعتصام وتوحيد الكلمة والالتحام، فنهى الناس عن التقاطع والتنازع ووجد الشبيبي في الاتحاد والدعوة إلى إسلام يجمع ولا يفرق طريقة مثلى للتغلب على المشاكل والانتصار على الأعداء. فالشبيبي يأسف على ما يجري بين أبناء الشرق من قتل ودمار وقتل القويّ للضّعيف. فالمجتمع الإنساني المطمئن السعيد لا يقوم إلا على التوادّ والتراحم والتراضي، فعندما يتحدث الشاعر عن افتراق الأمة البشرية نراه يلجأ إلى الأسف على وضعها الراهن مشبها إياهم بالوحوش المتشتتة، إذ لعله أراد من ذلك أن يكون سببا في عودتهم إلى رشدهم واستنهاضهم وانتباههم، فيحزن الشاعر على الحال التي وصلت إليها العرب. فعند مخاطبة الأبناء البشرية يستعمل تركيب (بني نوعنا الأكرمين) الذي يدل على الروابط المتينة بينه وبينهم:

فَمَا لبَنِي نَوْعِنَا الأكْرَمَيْنَ ... قَدِ افْتَرقُوا كَالمهَا الجُفَّلِ
يُبِيْدُ القَوِيُّ حَيَاةَ الضَّعِيفِ ... ويُوْدِي المُسَلَّحُ بِالأَعْزَلِ
فَمُرْتَفِعُونَ لأُوجِ العُلَا ... وَهَاوُونَ لِلدركِ الأسْفَلِ

(المصدر نفسه: ١٧٢- ١٧٣)

ولا شكّ أنّ الوعي السياسي والإدراك الحقيقي عند الشبيبي لما يحيط بالأمة العربية الإسلامية من أخطار، كان من أهم الأسباب التي دفعت الشاعر إلى تحريض النفوس والدعوة إلى الثورة والجهاد. فالأبيات السابقة تدل خير دلالة على أهمية الوحدة العربية بين الشعوب، إذ يطالب الشبيبي أبناء العرب بأن يهبوا بوجه العدو.

ومن جهة أخرى، يرى جمال الدين الأفغاني (١٨٣٩-١٨٩٧م) سبب انحطاط المسلمين وتخلّفهم يعود إلى ضياع الحقيقة الدينية في صفائها، وانقسامهم إلى ممالك وإمارات ودويلات وطوائف ومذاهب، فاختلفت كلمتهم، وتفرق شملهم. فانتقل المسلمون سياسيا من نظام الخلافة إلى نظام الملك، فأصابهم التقهقر والانحطاط. ويعني هذا أن المسلمين عرفوا نوعين من التشتت: التشتت السياسي الذي يتمثل في كثرة الممالك، والتشتت الديني الذي يتجلى في كثرة الطوائف والمذاهب. كما تحول الدين إلى طقوس وشعائر وتعاليم ورسوم بلا معنى، وصارت العبادة ممارسات صوفية خارقة. وبذلك، أساء رجال الدين فهم الشريعة -وذلك من حيث لا يعلمون- وتفسير العقيدة الصحيحة، مبشرين بالتواكل والقضاء والقدر، معتمدين في تأويلاتهم على الخوارق والأساطير. ومن ثم، كان ضعفهم في عدم فهم الدين على أساس النّص أولا، فالواقع ثانيا. وهذا هو موطن تقاعسهم وتخلفهم. في حين، تقدم الغربيون في شتى الميادين العلمية والمعرفية والتقنية، وذلك بعد الاكتشافات الجغرافية الكبرى؛ بفضل الوحدة والعزيمة والعلم والفكرة والعمل. وهكذا، فالحقيقة عند جمال الدين الأفغاني مبنية على فهم الدين فهما صحيحا، وذلك على أساس الوحدة والعلم والعقل والإيمان والعمل قائلا: «علمنا وعلم العقلاء أجمعون أن المسلمين لا يعرفون لهم جنسية إلّا في دينهم واعتقادهم وقوله كذلك مخاطبا المسلمين: «واعتصموا بحبال الرابطة الدينية التي هي أحكم رابطة اجتمع فيها التركي بالعربي والفارسي بالهندي، والمصري بالمغربي، وقامت لهم مقام الرابطة الجنسية.» (عمارة، ١٩٨٨م: ١٣٦) وأن الأديان الثلاثة [الموسوية والعيسوية والمحمدية] على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية، وينتمي لو يتحد أهلها مثلما اتحدت هي في جوهرها وهدفها، فيخطو البشر بهذا الاتحاد خطوة كبرى نحو السلام. (قلمجي، د. ت: ١٧) كذلك نرى رسوخ هذه الفكرة في الشبيبي فـ«لم يعرف هو للتعصب معنى أيّا كان شكله قوميّا أم دينيّا أم طائفيّا.» (شناوة، ١٩٩٥م: ٢٧) في البيت التالي يتجلى تأثر الشبيبي بجمال الدين ويبدو أنه اقتبسها من أفكاره، حيث يستنكر الشاعر الاختلافات الدينية التي جعلها البعض أساس التفَرُّق بين المسلمين ويدعوهم إلى نبذ هذه الخلافات والأحقاد التي تنبعث من الجهل، لأنه يضعف الأرضية التي تصنع الوحدة والمودة، فتحصل الفرقة:

لا تَجْعلُوا آلةَ التَّفْريقِ دِينكُمْ فَالدِّيْنُ عَنْ وَصْمةِ التَّفريقِ مَعْصُوْمُ

(الشبيبي، ١٩٤٠م: ٩١)

فالشبيبي ينزع منزع جمال الدين في رفض خلافات أصحاب الأديان ويقترب منه، فهو لا يميز بين المسلم وغير المسلم في مختلف الأديان، بل يدعو إلى السلم والمحبة والمؤاخاة ونبذ الأحقاد والأضغان وترك العصبيات الطائفية كما يعتنقه جمال الدين فضلا عن اعتقاده بأن الدين فطري في وجود الإنسان وليست رسالة الدين إحلال الفجوة والصراع بين الناس والشعوب المختلفة وليس الدين محل جدال بين معتنقيه في مختلف الشعوب وليس يليق بأحد أن يصم إنسانا آخر بسبب نحلته أو يسخر من دينه:

لَوْ أنْصَفَ النَّاسُ دِيَانَةً أَجْمَعُوْا عَلَى أَنَّهَا نَتِيْجَةُ وِجْدَانِ
فَلَمْ يَـتَكَلَّفْ عَالِمٌ رَدَّ عَالِمٍ وَلَم يَصِمِ الإنْسَانُ مَذْهَبَ إنْسَـانِ

(المصدر نفسه: ٥١)

فالدين الإسلامي لم يكن السبب في تأخر المسلمين عن ركب الحضارة والمدنية وإنما كان عاملا قويا في تقدم المسلمين الأوائل وازدهار المدنية وسعادة الإنسانية قروناً، ثمّ إن واقع الدين الإسلامي بنصوصه وتعاليمه يثبت ما له من فضائل ومميّزات، فهو الدين الذي يدعو إلى المساواة بين البشر، فهم كلهم إخوان متساوون في الحقوق والواجبات. فالشبيبي قد أدرك جيدا أن العرب من مسلمين ومسيحيين وغيرهم يجمعهم تراث روحي واحد ولم تظهر دعوة للتفرقة الدينية في الوطن العربي إلا من وراء الطائفية الاستعمارية وذلك لأن رسالة الدين تختلف عما يفكرون فيه، حيث جاء في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: ١٣). والله سبحانه وتعالى ينهى المسلمين عن أن يعملوا عمل المشركين الذي يفرقون الناس بأهوائهم وباطلهم، حيث قال: ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ؛ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الروم: ٣١-٣٢).

٣,٦. المكافحة مع اتباع التقاليد العمياء الماضية وهيمنة الجهل

إذا فقد الشخص ثقته بنفسه والاعتزاز بها وتجاهل ما لديه من قدرات وكفاءات وهيمن عليه الشعور بالنقص انحاز إلى تقليد الآخرين. ومصدر كل ذلك هو الجهل، لأنَّ الجهل هو الذي يسدل غشاوة على بصيرة الإنسان ويصيّره أعمى لا يبصر ما لديه من مكتسبات ثقافية وحضارية أو تاريخية ومبادئ إيدئولوجية، فلهذا نراه في ظلمة الجهل يبحث عمَّا يعوّضه ما فقد، ومن هنا نراه يقع في ظلمة التقليد.

كرّس الأفغاني جهوده في ظل الدعوة إلى التجديد الديني إلى محاربة التقليد الأعمى والتمسك بتلابيب الماضي حيث نادى بالأخذ بالبرهان العقلي وتجنب الأخذ الكلي عن السلف أو الأجانب كما نادى أن تكون عقائد الأمة مبنية على البراهين القويمة والأدلة الصحيحة، حيث لا تصاب العقول بالتخلف والجمود الفكري. (بونوارة، ٢٠١٧م: ٣١) أدرك الأفغاني بثاقب فكره أن التقليد والجمود سبب أساسي في تخلف المسلمين وضعفهم ورأى كثيرين من علماء زمانه فوجدهم عاجزين عن فعل أي شيء،

حصرتهم ظروف الحياة في زوايا الجوامع، فهم لا يعرفون عن الإسلام إلّا كتبا في النحو واللغة والمنطق والكلام وبعض المسائل الفقهية العلمية، يقضون أيامهم بمجادلات لفظية، يعيشون في قرن غير قرنهم، منقطعين عما حولهم من المآسي... يكفِّرون الناس لأدنى شُبهة، وقد كفروه هو، لأنه دعا إلى نبذ التقليد وفتح باب الاجتهاد والعودة إلى الكتاب والسنة والأخذ بالعلوم والصناعات الحديثة. دعا الأفغانيّ إلى الإصلاح الديني من خلال احترام منهج العقل وتحرير الفكر الديني من قيود التقليد وفتح باب الاجتهاد؛ إذ رأى أن الجمود على أقوال أناس هم أنفسهم لم يقفوا عند أقوال من سبقهم خطأ كبير، وانتقد بشدة إغلاق باب الاجتهاد بعد الأئمة الأربعة فقال: ... .» (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٩م: ١٢٠-١٢١)

وفي موضع آخر يقول: «لا شكَّ أن بلاد الشرق الإسلامية وقد وقعت فريسة لحكم المغيرين عليها، قد أضلَّتها عهود من الجهل والتأخر دفعتها إلى تقديس التقاليد البالية والتمسك بأهداب المعتقدات الموروثة التي أعاقت دفع عجلة التقدم في هذه البلاد وكانت سببا في تخلُّف دول الشرق عن الغرب وخاصّة في ميدان العلوم الحديثة ... ودواء هذا الداء أن تتحصَّل على العلم وأن تكتسب المعرفة، بذلك وحده نستطيع أن نحيا ونتقدَّم.» إن الأفغاني بدعوته إلى تأويل الدين وتفسيره بما يطابق ضرورات العصر الحاضر وروح المدنية الحديثة إنما يدعو إلى الاجتهاد البصير وينفر من التقليد الأعمى أو التمسّك الحرفي بكل ما قاله المفسرون. (المصدر نفسه: ٢٦) كذلك نرى نفس الظاهرة في حياة شاعرنا الشبيبي، فاعتقد الكثير من أهل العراق أن الحضارة الحديثة هي من صُنع الإنكليز وأمثالهم من الكفّار، وهي إذن لا بدّ أن تكون مخالفة لدينهم وهادمة له. لقد كانت تلك النظرة ساذجة سيطرت على عقول العامّة وبعض رجال الدين.

فقد كان السواد الأعظم من الناس ينظرون شزرا إلى كل شيء جديد ولو كان في حد ذاته مشروعا أو نافعا. فدخول المدارس حرام، وقراءة الجرائد حرام، وتعلّم أية لغة أوربية حرام. وكذلك حرّموا لبس القبعة والأكل بالملعقة وربما الجلوس على الكرسيّ، وحرموا أمورا أخرى كثيرة لا حصر لها. (الوردي، د. ت: ٣٤١-٣٤٢)

يشكو الشبيبي في أشعاره عدة مرات من آثار التقليد والجمود التي انتشرت في المجتمع العراقي ويحاربها، لأنها عائقٌ أساسيٌّ أمام كل تقدّم وتطور وتجديد. ولا شكَّ أنَّ اهتمامه بهذه المشكلة نابع من استفحال أمرها في البلاد وعمق شعوره بخطرها. فقد كان التأخُّر يسود المجتمع في جميع نواحيه وكان الناس في العادات والتقاليد والتجمعات والاحتفالات يسيرون على نهج الآباء في القرون الماضية. وكانت الخرافة تعشش في هذا المجتمع فتحرفه عن النظر القويم إلى الأمور. والشيء الذي أشدُّ إيلاماً هو أن المجتمع كان راضياً عمّا هو فيه، مرتاحاً إليه، متمسِّكاً به، لأنَّه يعدُّ ما هو فيه جزءا من دينه وأخلاقه وتقاليده، فاستمع إلى الشاعر وهو يخاطب قومه قائلاً:

دُجَى التقليدِ منكَ أضَلَّ قَوْمَاً وَلَوْلاهُ صَبَاحُهُم تجَلَّى

(الشبيبي، ١٩٤٠م: ١٢٢)

هو يرى سبيل الفلاح وانعتاق الشعب في نبذ العادات والتخلص من الرسوم الماضية التي سيطرت على الشعوب، فلذلك يهجم ويصرخ عليهم حتى يستيقظوا من نومهم وغفلتهم وينتهجوا سبيل الرقيّ والتقدّم إلى الأمام. في الأبيات التالية يشير هو إلى هذه المعاني:

رَمَتْ أمَمٌ عنْها الجُمُودَ فأَفْلَحَتْ عَلَى حِينَ أنَّا تَحتَه الآنَ نَرزَحُ

(المصدر نفسه: ١٢٢)

وفي الأبيات التالية يشكو الشاعر من سيطرة التقاليد والسنن التي غلبت على الشعب العراقي ومصدرها الجهل والخرافة ويقبحها حتى راح كليلا حسيرا في سبيل إنهاض شعبه وإزالة ما رانت على عقولهم من الأوهام والخرافات وعندما يخيب آماله إزاء ما بذل في هذه الطريق من الجهود، يلوذ بخياله ويعبر عن آلامه وهمومه بأسلوب الكناية ليزيل شيئًا من جفاف الأساليب الخطابية التي نشاهدها في أكثر أشعاره فتركيبا (تداعت رحالي) و(كلت رحالي) يشيران إلى ملالة الشاعر وإرهاقه في سبيل إنهاض شعبه أدقّ إشارة:

إلى مَ أَجُوْبُ القُطْرَ سَالَ جَهَالةً وَمَاجَ تقَّاليداً وَفاضَ خَرابَا ؟
تدَاعَتْ رِحَالي أوْبَةً وانْصِرافَةً وَكَلَّتْ رِحَالِي جَيْئَةً وَذهَابَا

(المصدر نفسه: ٦)

وفي موضع آخر، هو يشكو من جماعة دينية قد سيطرت أفكارها البالية على المجتمع العراقي وتكره من أن تفسر الأحكام الدينية بما يتناسب مع مقتضيات روح العصر كما يشكو جمال الدين من هذه الظاهرة: «ما معنى الاجتهاد مسدود؟ وأيّ إمام قال: لا ينبغي لأحد من المسلمين بعدي أن يجتهد لمنفعة في الدين؟ أو أن يهتدي بهدي القرآن وصحيح الحديث أو أن يجدّ ويجتهد لتوسيع مفهومه منها، والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم العصرية وحاجات الزمان وأحكامه... .» (مصطفى، ١٩٩٢م: ٤٠)

جارَتْ عَلَيْنا عُصْبةٌ رُوْحِيّةٌ شَقِيَتْ بِها الأرواحُ والأجسادُ
رَاجَتْ نقَائِصُها وَلكِنْ آذنَتْ بِرواجِها أنَّ الْكَمَالَ كَسَادُ
عَاداتُها بَلِيَتْ وتلْكَ عَوائدُ ممّا نَفَتْه لنَا ثَمُودُ وعَادُ
مَلَّتْ مَسَامِعُنا وَمَلَّ نجيُّنَا ممَّا يُكَرِّرُ ذكْرُه ويُعَادُ

(الشبيبي، ١٩٤٠م: ٨٩)

يشكو الشبيبي من تعاليم الدين ما يراه محرفا لا يفك معتنقيه مما تقيدوا به من قيود وسلاسل ويشجب من علماء الدين من يدعو إلى هذه التعاليم المزيفة، لكنَّه، «برغم ما شهد من ارتكاس في تقاليد بيئته، ولمس من تزمت وجمود في دعاة دينه، ظلّ يشهد الخيط الفاصل بين رسالة الدين ومسلك هؤلاء وبين تعاليم الدين الأصلية وما داخلها من أوشاب وأوضار. ولم يقع فيما وقع فيه غيره من حمل صنيع هؤلاء على الدين، وإلقاء جريرتهم عليه، بل ظلّ متمسكا بالدين داعيا إليه ناعيا على هؤلاء وحدهم ما أدخلوه من أوشاب وأوضار.» (علوان، ١٩٧٥م: ٢٤٢- ٢٤٣).

في الأبيات التالية يؤكد الشبيبي على دور رجال الدين والشارعين في هداية الشعب، فإن سار الشعب في تحقيق استقلاله في ظل دعواتهم وأفكارهم التنويرية فقد حقق سبيل انتصاره وحريته وذلك لأن لهؤلاء دورا منسجما في أصول القيادة والهداية وفلسفته في الحياة الدينية والسلوكية والاجتماعية ويكاد يجمع على أن هؤلاء كانوا النواة التي أثمرت ثورة العراق والدعاة الشارعين المصلحين لهم الأثر الكبير في تهذيب وتربية الأفراد والمجتمعات على القيم الخلقية السليمة وسرّ تأثيرهم يرجع لأسباب عدة: منها أنهم هم القدوة للناس والقدوة تحتلّ في المجتمعات مكانة عظيمة وكل هذا يولد في الفرد حوافز قوية تشجّعه على الاقتداء بهم ومحاكاتهم كما إنّهم يعطون الآخرين قناعة بإمكانية تحقيق المثل العليا وتطبيق الفضائل الإنسانية التي هي في متناول القدرات الإنسانية وفي حدود استطاعتها ولا يتم ذلك إلا عن طريق الدعاة المصلحين الذين لهم أثرهم في الإسهام في البناء الحضاري للإنسانية جمعاء والارتقاء بها، وكذلك بناء مجتمع نموذجي يقوم على أساس إنساني وعلى مبادئ سليمة وغايات طيبة وأخلاق قويمة وروابط تحقق الوحدة في ذلك المجتمع:

ولو أنّكُم في الواجِـبَيْن اتَّـبَعْتُمْ هُدى اثنينِ كانا شَارعاً وحكيما
لَسِرتُم على نجدَي هدىً وفضيلةٍ وجُبْتُـمْ حُزوناً دونَها وحُزومَا
فلَمْ أرَ مِـثْل الشَّارعيْنَ دِيانَةً أشَعَّ أسَاريرا وأكْرمَ خِيَمَا

(الشبيبي، ١٩٤٠م: ١٠)

وفي موضع آخر يصرخ الشاعر متألّماً بوجه الشَّعب ويؤنّبُهم بأنَّهم لا يقبلون أن يجاروا باقي الأمم، وذلك لأنَّ الجهل والجمود مستبدّان بهم مسيطران عليهم وأنهم غير قادرين على الحفاظ على المبادئ الأخلاقية التي طالما سادت شعوبهم في غابر الأزمان، حيث جثموا على جهلهم متغنّين متفاخرين بمراتب الشرف الماضية وذلك لا يرجع عليهم بأي جدوى، لأن في مجاراة الأمم محل عطاء وحوافز تدفعه إلى الابتكار والإنتاج، فهو يحاول الخروج مما هو راج على صعيد الحياة العراقية، باحثا عن صورة ما من صور الانحياز والتقدّم إلى الأمام. فهو لم يجد في الماضي ما حقق أهداف شعبه العليا، بل أوقعه في قاع من التخلف منذ قرون:

يا أمَّةً مِنْ جَهْلِهَا تَأْبى مُجاراةَ الأُمَمْ
تَأْبى الرُّجُولَةَ والبُطُو لةَ والكَرَامةَ والكَرَمْ
ذَلَّتْ حَدِيثَاً أُمَّةٌ أَبَدَاً تُفَاخِرُ بالقِدَمْ
وأَحالَ منْهَا رِمَّةً طُوْلُ التَّبَاهِي بالرِّمَمْ

(المصدر نفسه: ٩٤)

وهذا المعنى قد أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «الشرف بالهمم العالية لا بالرِّمَم البالية.» (الآمدي، ١٤١٠ق، ج ١: ١١٠) وجاء الشاعر به لا لينقذ الشعب ويؤبّخهم وليُنكِّل بهم، بل ليوقظ ضمائرهم ولينوِّر أذهانهم وليشجِّعهم على نبذ المخاوف واقتحام المصاعب وليرسِّخ عزائمهم ويثبِّت أقدامهم في طريق النجاح ومواكبة الأمم الراقية.

٤,٦. الاعتقاد بالقضاء والقدر

من يتفحّص حياة الأفغاني وأقواله وكتاباته، يجده مسلما يؤمن بالله تعالى إيمان المستسلم الرباني الصادق الذي لا يرى في الوجود إرادة فوق إرادته، لأن الإرادات الأخرى هي إرادات مخلوقة لله تعالى تتحرك في إطار إرادته الكونية الأزلية. من مظاهر هذا الاعتقاد، الإيمان بالقضاء والقدر الإلهي. هو يعتقد بأنّ كل حادث في العالم يصدر عن سبب يقرن بالإرادة الإلهية والاعتقاد بالقضاء والقدر لا يعني الاستسلام والذلّ أمام كل حادث، لأنه يناقض الجبرية التي لا تصور أي اختيار للإنسان وبهذا السبب يرد بشدة على مغلطة الإفرنج التي تعتبر الإنسان مقهور القضاء والقدر وتفسِّرهما بالجبريّة. يقول: «من ذلك عقيدة القضاء والقدر، التي تُعَدُّ من أصول العقائد في الديانة الإسلامية الحقة، كثر فيها لغط المغفلين من الإفرنج وظنّوا بها الظنون، وزعمُوا أنها ما تمكّنت من نفوس قوم إلا وسلبتهم الهمة والقوة وحكمت فيهم الضعف والضعة ورموا المسلمين بصفات ونسبوا إليه أطوارا ثم حصروا علتها في الاعتقاد بالقدر...» (الأفغاني، ٢٠١٢م: ٨٣)

ويقول في حديث آخر: «الاعتقاد بالقضاء يؤيده الدليل القاطع، بل ترشد إليه الفطرة، وسهلٌ على من له فكر أن يلتفت إلى أنَّ كل حادث له سببٌ يقاربه في الزمان، وأنّه لا يرى من سلسلة الأسباب إلا ما هو حاضر لديه ولا يعلم ماضيها إلا مبدع نظامها وأن لكلّ منها مدخلا زاهرا فيما بعد بتقدير العزيز العليم، وإرادة الإنسان إنما هي حلقة من حلقات تلك السلسلة وليست الإرادة إلا أثرا من آثار الإدراك، والإدراك انفعال النفس بما يعرض على الحواسّ وشعورها بما أُودع في الفطرة من الحاجات...» (المصدر نفسه: ٨٤)

غير أن الأفغاني لايقف كثيرا عند الجانب الفلسفي في القضاء والقدر وإنما ينتقل بسرعة إلى أثر العقيدة في الحركة الإنسانية من أجل إيقاظ المسلمين ودلالتهم إلى ما هم عليه من تأخر وانحطاط وسلبية

وسكون بسبب استسلامهم إلى الجبر وعدم فهمهم لعقيدة القضاء والقدر في الإسلام. هو يقول: «الاعتقاد بالقضاء والقدر إذا تجرد عن شناعة الجبر يتبعه صفة الجرأة والإقدام وخلق الشجاعة والبسالة ويبعث على اقتحام المهالك التي توجف بها قلوب الأسود وتنشق منها مرائر النمور، هذا الاعتقاد يطبع الأنفس على الثبات واحتمال المكاره ومقارعة الأهوال .... .» (المصدر نفسه: ٨٤).

ونفس الاعتقاد يتجلى في أبيات قصائد الشاعر، الشبيبي، حيث يعتقد الشاعر كل ما يحدث للإنسان في حياته يكمن في وراءه سلطان الإرادة الإلهية أي القضاء والقدر أمر محتوم في حياته وأن كل أمور الإنسان تحت تدبير إرادة قدرة قاهرة ليس لأي شخص أن يهرب منها وهو سرّ من أسرار الحياة نفسها، وناموس من نواميس الله في خلقه، يجري على قدر وينتهي إلى غاية، ويسوقه تدبير من عليم حكيم. وقد يظهر للمتدبرين من خلق الله بعض الحكم الخفية التي تحجبها ظواهر بغيضة منفّرة، ولكن أعماقها وأبعادها وسائرها تظل محجوبة عنا لا يعلمها إلا الله ولا يحدث أي شيء إلا وراءه قدرة عظيمة وهي قدرة القضاء والقدر الإلهي، فالرضا بالقضاء – كيفما كان- واجب، لأنه:﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٣٦) فما قضاه الله تعالى كائن لا محالة، فالنتائج والآثار عند الله الحكيم والأسباب تلعب الدور الوسيط في تحقيقها وعلى المؤمن الحقيقي الاستسلام بما قضاه الله له والرضا به، لأن الرضا يمنع النفس من الانهيار والجزع أمام المصائب. فهكذا يجب أن يفهم القضاء والقدر وأنه لا بدّ للعبد من أن يجمع بين إيمانه بالقدر وبين الاجتهاد بالأخذ بالأسباب:

أعدَّ مِنَ الفَلَكِ الأَعْلَى رافِعُه ... رَحَىً تَدُوْرُ عَلَيْنَا قطْبُها القُطْبُ
لاقَى الجِهاتِ عَلى الدُّنيا وأطْبقَها ... مَنْ ليْسَ يمْكنُ منْه الفَوْتُ والهَرَبُ
نَسْعَى وَنَقْعُد والأَقْدَارُ حَاكِمَةٌ ... سِيّانِ فيهَا سُكُوْنُ النَّفْسِ والطَلَبُ

(الشبيبي، ١٩٤٠م: ٦٨)

فعلى المرء - مع إيمانه بالقضاء والقدر- أن يؤمن بأن الأسباب لا تؤثر بنفسها وإنما يعتقد أنها تؤثر بإذن الله تعالى. الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان والواجب على المؤمن أن يسكن قلبه وتطمئنّ نفسه لقضاء الله تعالى كيفما كان وعليه أن يرضى به، لأنه صادر عن إله عظيم حكيم عليم خبير قادر مريد... ومما يثبت الاعتقاد الجازم للشاعر بهذه العقيدة، البيت التالي:

أمُورٌ بإسْعافِ المقَاديرِ نِلْتُهَا ... عَلَى حِيْنَ أعْياني لها بالوَسَائلِ

(المصدر نفسه: ٦٤)

حيث عبَّر فيها أن كلَّ ما يحصل له في حياته ليست بواسطة الآلات والأدوات المادية التي تكون تحت أيدي البشر حتى تسهل سبيل البلوغ إلى المرامي، بل تكون كلها بواسطة حكمة القضاء والقدر الإلهي ويصرّح بها تصريحا في البيت السابق وذلك يتطابق مع ما جاء في قوله تعالى:﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التغابن: ١١) أو ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢١) ورغم أنّ الإنسان مأمور بأن يأخذ بالأسباب، فإنّ عليه أن يؤمن أيضا بأن الأسباب قد لا تقع على ما يريد، ولذا عليه أن لا يصخب، ولا يضجر ولا يقنط. وراج على عقول بعض الجاهلين الاعتقاد بالقدر يعود بالتواكل والتخاذل والكسل في الحياة. وحقيقة هذا الجهل تعود إلى جهلهم بحقيقة الإسلام وعقيدة القضاء والقدر، فعلى المؤمنين الأخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله في كل شؤون حياتهم وأن حصول النتائج بواسطة الأسباب لا يتم إلا بإرادة إلهية وراءها وعلى المسلم السعي وراء تحقيق أهدافه وبلوغ مآربه وهذا لا يعني التواكل والأخذ بالأسباب دون أي جهد في سبيل الأهداف المنشودة. فالشاعر يشير إلى أنّ القدر من أكبر الحوافز لسعي ونشاط الإنسان وراء ما يريد تحقيقه خلافا لما يعتقده البعض من الاستسلام والقنوط أمام الفقر والجهل أو المرض وهذا مما يتناسب بما مرّ بالنسبة في اعتقاد جمال الدين في الفقرة الأخيرة من كلامه.

الخاتمة والاستنتاج

وأما أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال الأسئلة المطروحة في بداية البحث:

فبالنسبة إلى السؤال الأول: التفاعل الثنائي مع الحضارة الغربية وفضح إيجابيات وسلبياتها، الدعوة إلى الوحدة الوطنية والإسلامية ونبذ خلافاتها، المكافحة مع اتباع التقاليد العميا الماضية وهيمنة الجهل، الاعتقاد بالقضاء والقدر من أهم الأضواء الفكرية التي تجلت مظاهرها في أشعار الشبيبي في هذه المقالة.

وأما بالنسبة إلى السؤال الثاني: إن جمال الدين ومحمدرضا الشبيبي ذوا نظرتين متناقضتين في المجابهة مع الغرب. من جهة يستنكران الغرب ومناهج سلوكه ودسائسه الخلابة البراقة التي ينوي من وراءها الاستحواذ على الشرق واستغلال ثرواته ومن جهة أخرى يدعوان إلى الاستفادة من الغرب ومكتسباته بما ينفع في مجالات العلم والصناعة والتقنية. ففي نظرتهما إن البلاد الإسلامية يجب عليها أن تحرص في تعاملها مع الغرب وحضارته المتقدمة فيقتبس منها ما يوائمها وينفعها ويأتي بالتقدم والتطور والعزَّة لها محذرين بمخاطره ودسائسه الخلابة خاصة في الساحة الثقافية والأخلاقية مما لا يتناسب مع الدين والثقافة الإسلامية. كلاهما يستنكر التعصب في جميع وجوهه سواء كان دينيا أو جنسيا أو طائفيا. فالشاعر يشكو مرات كثيرة في قصائده عن آثار التفريق التي قد ظهرت بين الناس بأسباب مختلفة حاثّا الناس على الاتحاد والتلاحم الذين يأتيان بالعزة والسيادة أمام تخاذل الأجانب والأعداء. ففي معتقدهما ليس ينبغي للمجتمعات والشعوب أن تجعل الفوارق الدينية والاختلافات

الموجودة فيها ذريعة للتشتت. كلاهما يرفض الجمود والتقليد الذي غلب على الناس بمختلف أشكالهما وأسراهم في قيود مختلفة ويحولان دون كل تقدم وتطور، معتقدين بأن كل ما يحدث للإنسان في حياته يكمن في وراءه سلطان الإرادة الإلهية وأن القضاء والقدر أمران محتومان في حياته وعدم فهم المسلمين الصحيح لعقيدة القضاء والقدر في الإسلام يأتي باليأس والقنوط لهم في معارك الحياة ولا شكّ أن تأثرهما بالقرآن الكريم والرسالات الإسلامية من أهم الركائز التي تجمع بينهما في خيوط العقيدة المشتركة وتجلو آثاره بشكل جلي في أفكارهما.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

إبراهيم، لطيف أونيريتي، **دور الأدب العربي في إصلاح المجتمع النيجيري**، مجلة اللسان، المجلد الثاني، العدد الخامس، ص ١١٧- ١٣١، ٢٠١٢م.

الأفغاني، جمال الدين، **العروة الوثقى**، العدد ١٤. (هذه المقالة موجودة في موقع: majles.alukah.net).

الأفغاني، جمال الدين ومحمد عبده، **العروة الوثقى**، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م.

الآمدي، عبد الواحد بن محمد التميمي، **غرر الحكم ودرر الكلم**، المحقق: سيد مهدي رجائي، الطبعة الثانية، قم: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٠ق.

بونوارة، سميرة ومولوج سميرة، دور جمال الدين الأفغاني في مكافحة الاستعمار الغربي من خلال مجلة العروة الوثقى، أطروحة الماستر، الأستاذ المشرف: عبدالرحمن تونسي، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية- شعبة التاريخ، جامعة الجيلاني بونعامة- خميس مليانة، ٢٠١٧م.

حسون، علي عبد الواحد، **قراءة أوّليّة في المشروع الإصلاحيّ عند جمال الدين الأفغانيّ**، مجلة القادسية، العددان ٣-٤، المجلد الرابع، صص ٢٧٩- ٢٨٥، ٢٠٠٥م.

خفاجي، محمد عبد المنعم، **دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه**، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م.

الدسوقي، عمر، (د.ت)، **في الأدب الحديث**، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.

الشبيبي، محمدرضا، **ديوان الشبيبي**، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠م.

شلش، علي، **جمال الدين الأفغاني بين دارسيه**، القاهرة: دارالشروق، ١٩٩٩م.

شناوة، علي عبد، **الشبيبي في شبابه السياسيّ**، داركوفان، ١٩٩٥م.

علوان، قصيّ سالم، **الشبيبي شاعرا**، بغداد: منشورات وزارة الإعلام، ١٩٧٥م.

عمارة، محمد، **جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام**، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٨م.

غرايبة، إبراهيم. **جمال الدين الأفغاني عطاؤه الفكري ومنهجه الإصلاحي**، الأردن: المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ١٩٩٩م.

القرضاوي، يوسف، **الإسلام حضارة الغد**، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٥م.

قلمجي، قدري، **ثلاثة من أعلام الحرية**، دار الكاتب العربيّ، د.ت.

محمد حسين، محمد، **الإسلام والحضارة الغربية**، دار الفرقان، د.ت.

مصطفى، هالة، **الإسلام السياسيّ في مصر**، وكالة الأهرام، ١٩٩٢م.

موسى، سلامة، **الأدب للشعب**، القاهرة: مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم، ٢٠١٢م.

ميرزايي، فرامرز وطاهري نيا، علي باقر، **دور السيد جمال الدين الأسد آبادي في النهضة الأدبية المعاصرة**، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، العدد ١١(٢)، ص ٦٥-٧٣، ١٤٢٥ق.

نظمي، جمال وميض، **شيعة العراق وقضية القومية العربية، الدور التاريخي قبيل الاستقلال**، **مجلة العلوم السياسية**، العدد ٣٧، صص ١٠٦- ١٣٥، ٢٠٠٨م.

الوردي، علي، **دراسة في طبيعة المجتمع العراقي**، لا.م، د.ت.

الشبكات العنكبوتيه:

أمين، حسين أحمد، «المصلحون والدعوة إلى التغريب». *http://www.alsadrain.com/hewar/160.htm*.

*http://alislahmag.com*حمداوي، جميل، «مفهوم الحقيقة في الفكر الإسلامي الحديث (الأفغاني وعبده)»، غزای عمران، سعدی، «عندما يكون السياسی شاعرا»، «٢٠١٢/١٠/٢٤»، *almadasupplements.net*.

Sources and references

Nahj Al- balagha

Ibrahim, Latif Oneretti, “The role of Arabic literature in reforming Nigerian society”, **Al-lesan**, Volume II, Number 5, pp. 117-131. [In Arbic]. 2002.

Al-Afghani, Jamal al-Din, Mohammad Abdo, **the Great Liberation Revolution**, Cairo: Dar al-Arab Boustani, [In Arabic].1957.

Al-Afghani, Jamal al-Din and Mohammad Abdo, **Al-Orwa al-Wuthqa**, Cairo: Hendawi Foundation for Education and Culture. [In Arbic]. 2012.

Al-Afghani, Jamal Al-Din, “Al-Urwa Al-Wuthqa”, Issue 14.[In Arbic] . (This article is available on: majles.alukah.net).

Bunwara, Samira and Mulouj Samira, **The Role of Jamal Al-Din al-Afghani in Combating Western Colonialism through the Journal of Al-Urwa Al-Wuthqa,** Master Thesis, Supervising Professor: Abd al-Rahman Tounsi, College of Social Sciences and Humanities, Al-Jilani University Bu'amah - Khamis Miliana. [In Arbic]. 2017.

Hassoun, Ali Abdel Wahid. “An Initial Reading in the Reform Project of Jamal Al-Din Al-Afghani”, **Al-Qadisiyah**, Issues 3-4, Volume Four, pp. 279-285. [In Arbic]. 2005.

Al-Shabibi, Mohammad Reza, **Diwan al-Shabibi**, Cairo: The Committee for Authorship, Translation and Publishing. [In Arbic]. 1940.

Shalash, Ali, **Jamal al-Din al-Afghani Among their researchers**, Cairo: Dar Al-Shorouk. [In Arbic].1999.

Shinawa, Ali Abd, **Al-Shabibi in his political youth**, Darkovan. [In Arbic]. 1995.

Al-Saghir, Mohammad Hossein Ali, Leaders of Religious and Political Thought in Najaf, Second Edition, Lebanon: **Al-Balagh** Foundation. [In Arbic]. 2009.

Abdul Razzaq, Ahmad Mohammad jad, **Philosophy of the Civilization Project between Islamic Revival and Western Modernization**, First Edition, University Theses Series. [In Arbic]. 1995.

Alwan, Qusay Salem, **Shabibi Poet**, Baghdad: Ministry of Information Publications. [In Arbic]. 1975.

Amara, Mohammad, **Jamal al-Din al-Afghani, Awakened of the East and Philosopher of Islam**, Cairo: Dar Al-Shorough. [In Arbic]. 1988.

Gharayebah, Ibrahim, **Jamal al-Din al-Afghani, his intellectual gift and his reform approach**, Jordan The International Institute for Islamic Thought. [In Arbic]. 1999.

Ghazai Omran, Saadi, "When a politician is a poet", **almadasupplements.net**. [In Arbic]. "10/24/2012".

Ghazwan, Enad, "The Poet of Sheikh Mohammad Reza al-Shabibi," the first year, **Al-Balagh**, the fifth issue, pp. 337-348. [In Arbic]. 2007.

Qhalamji, Qhadri, **Three Notables of Freedom**, Dar Al- ketab Al- A rabi. [In Arbic]. no date.

Mazraa, Mohammad Reza, **the life of Mohammad Reza al-Shabibi and his political and social views**, MA Thesis, Supervising Professor: Hamid Ahmadian, University of Isfahan. [In Arbic]. 2011.

Mostafa, Hala, **Political Islam in Egypt**, Al-Ahram Agency. [In Arbic]. 1992.

Moussa, Salama, **Literature for the People**, Cairo: Hindawi Foundation for Culture and Education. [In Arbic]. 2012.

Al-Wardi, Ali, **a study on the nature of Iraqi society**. [In Arbic]. no date.

Internet networks:

Amin, Hussein Ahmed, "Reformers and the Call to Westernization". http://www.alsadrain.com/hewar/160.htm.

Hamdawi, Jamil, "The Concept of Truth in Modern Islamic Thought (Al-Afghani and Abdu)", http://alislahmag.com.

Ghazai Omran, Saadi, "When the Politician is a Poet," 10/24/2012almadasupplements.net .

COPYRIGHTS

© 2022 by the authors. Licensee Islamic Azad University Jiroft Branch. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الاستشهاد إلى: طالب‌پور دانا، أضواء مبادئ الإصلاح الديني عند جمال الدين الأفغاني في أشعار محمد رضا الشبيبي (رؤية تحليلية مقارنة)، دراسات الأدب المعاصر السنة الرابعة عشرة ، العدد ستة وخمسين، شتاء ١٤٤٣، الصفحات ١٦١-١٣٨.